



في ذاكرتي من أيام المرحلة الابتدائية قصة من أمعن وأفيد ما قرأت، وهي قصة المثل القائل: **كيف أعاودك وهذا أثر فاسك**. وأصل هذا المثل على ما حكته العرب على لسان الحية أن أخوين كانوا في إبل لهما فأجذبَتْ بلادهما، وكان بالقرب منهما وادٍ خصيَّبٍ وفيه حية تحميه من كل أحد. فَقال أحدهما لآخر: يا فلان، لو أتيت هذا الوادي المكْلُئ فرعيتُ فيه إبلي وأصلحتها.

فَقال له أخوه: إني أخاف عليك الحية، ألا ترى أن أحداً لا يهبط ذلك الوادي إلا أهلكته. قال: فوالله لأفعَلَ، فهبط الوادي ورعي به إبله زماناً، ثم إن الحية أرادته لترجعه من أرضها، فطلب الحية ليقتلها، فَقالت الحية له: فهل لك في الصلح فأدعكَ بهذا الوادي تكون فيه وأعطيك كل يوم ديناراً ما بقيت؟ قال: أو فاعلة أنت؟ قَالَتْ: نعم. قال: إني أفعل.

فحل لها وأعطها المواثيقَ لا يضرها، وجعلت تُعطيه كلَ يوم ديناراً، فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالا، ثم إنه طمع في المال الذي في جحراها وأراد أن يأخذنَه دفعة واحدة، فعَمِدَ إلى فأسٍ فأخذها ثم قَعَدَ لها فمررت به فتبعدها فضربها فأخطأها ودخلت الجُحُرَ، ووَقَعَتِ الفأس بالجبل فوقَ جُحْرِها فأثَرَتْ فيه، فلما رأى ما فَعَلَ قطعَتْ عنه الدينار، فخاف الرجل شَرَّها وندم.

فَقال لها: هل لك في أن نتَوَاثِقَ ونَعُودَ إلى ما كنا عليه؟ فَقالتْ: كيف أعاودك وهذا أثر فاسك؟

أثر الفأس الغادر ليس حالة فريدة في الدول الممحوقة بل ظاهرة عامة، فمنذ الثورة التونسية، التي فجرت الثورات الشعبية السلمية في الوطن العربي، وكانت أوائل بشارات التحرر فيما سمي بعدها: الربيع العربي، ومروراً بالثورة المصرية والتي كرسَتْ ثقافة التظاهر السلمي الحضاري لدى المسلمين ضدِّ الحاكم الجائر الظالم والباغي، مما استدعي سائر الشعوب الأخرى لدراسة هذه الظاهرة والإفادة منها، بل والسير على خطها، وانتقالاً إلى الحالة الليبية وتجلياتها المختلفة عن

سابقتيها بالتحول إلى المواجهة المسلحة مع صاحب الفأس الغادرة (مراها وتكرارا إلى حد لم نعد نتبين أيهما الأصل: الحجر أم الأثر، كما هو حال أسلافه)، مرغمين لإخراجه من الأرض التي رعى فيها إبله، حتى أتى على خيراتها وثنى بأصحاب الأرض يفنيهم لتبقى إبله ومضارب خيامه، والعجيب المرrib ذلك التنادي من قبل أحلاف الأمس أعداء اليوم لإخراجه وهو من الصاغرين.

ولا أدرى تلك المسارعة والاستجابة الفائقة عسكريا وسياسيا، محبة في الليبيين (ولا على بياض أسنانهم وسود عيونهم)، كما يقال في بلاد الشام، ولما أخذ الطرفان في محاولة التوصل إلى ما يحقن دماء الليبيين ويخلصهم من جوره استعنوا بالحizibون ذي الوجهين ليصدر قرارا دوليا بالقبض على الأفاك الأثيم لا تخليصا للبيبين من شره وإنما وراء الأكمة ما وراءها.

ثم انعطافا إلى حالة اليمن الذي لم يعد سعيدا بما يعاني أحفاد سيف بن ذي يزن، ولكن ليس على يد الغزاة هذه المرة، فلا هم بالغرس ولا بالأحباس، كما تخزن الذاكرة الحضارية لأصل العرب ومنشأ حضارتهم وموطن فخارهم، بل من بني جلدتهم، كما هو أيضا في موروثها (الملك الحميري صاحب جوع كلبك يتبعك، أو الآخر لخنيعة ذو شناتر صاحب ذو نواس). إلا أن أهل الإيمان والحكمة كما وصفهم نبينا عليه الصلاة والسلام لا يزالون على أصل ذلك الإيمان والحكمة حتى وقع للظالم ما وقع لأسلافه في غابر التاريخ، فجاءت إصابته من قرابته (كما وقع من أخي الملك الحميري صاحب يوشك كلبك أن يعضك)، ومن داخل قصر حكمه وبين جنده (كما وقع من ذي نواس: استطيطان ذو نواس استطيطان لا باس). وصولا إلى الحالة السورية وعجائبها التي لا تنتهي، ولا يعرف إليها أعجب: الشوط الأول منها عام 1982 م على يد حافظ الأسد وشقيقه رفعت، أم الشوط الثاني عام 11 م على يد بشار حافظ الأسد وشقيقه ماهر.

طبعا مع ملاحظة عدم حذف تجليات الوقت الضائع بين الشوطين والوقت بدل الضائع بعدهما، حيث الصمت المطبق والرهيب من سائر العرب والمسلمين والأمم قاطبة عن جرائم وفظاعات صاحب الفأس الغادرة في هذه الحالة وفتكه بالنفس والعرض والمال والقيم والأخلاق والحضارة {هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا} مريم.

ولم يكتف برعى إبله وإن بل عائلته بل وإن طائفته حتى وصل الحال به لرعى إبل وسوائم الطوائف الأخرى من أماكن شتى وأصقاع مختلفة، وما وإن الولي الفقيه عنكم ببعيد، وملا جراره وجرارهم من دنانير الشعب المسحوق، بعد أن سبقه أبوه إلى ملا جراره من بيع الأرض التي يقتات من رعي إبله فيها لليهود الغاصبين ولا أدرى من فوضه في بيع ما لا يملك لمن لا يستحق. بل إنه زاد على من سبقه بانتهاك أعراض نساء وأبناء أهل الأرض وقتل أطفالهم ورجالهم حتى تجرأ على الذات الإلهية أمراً عباد الله بعبادته من دون الله والسجود له والتسبيح بحمده.

وأعجب ما في الأمر أن لا أحد منهم يتعظ بما جرى لسابقيه ولا يعي ما وقع لأسلافه، فتراه يكرر ما قالوه وينسج على منوالهم، يظل أحدهم سادرا في غيه، متجاوزا في ظلمه، فإذا طولب بالإصلاح أجلب عليهم بخيله ورجله، وأعمل فيهم قتلا واعتقالا، حنقا منهم أن خرموا عن سلطته وبطشه، وعله أن يرهبهم فيخنعوا وينذلوا، فإن أبوا أخذ يراوغ ويتهرب ويذب ويكرر الكذب ليملأ ما بين الخافقين كذبا وحتى يبلغ كذبه عنان السماء، وهو في ذلك يصدق كذب نفسه بل ويزدره كالكلب يعود في قيئه.

فإن ازدادوا تمسكا بآدمييهم، خدع وختل وأخذ يسير مسيرات يحشد لها الناس رغبا ورهبا يتكثر بها على شعبه المظلوم لعلها أن تتطلي خدعته على الآخرين الصامتين على ظلمه فينصروه على الشعب المسكين، حتى إذا أدركه طوفان الثورة وعلم أن لامناص قال: فهمتكم ولم أكن أتوى البقاء على أنفاسكم أبد الآبدية ولم أرد توريث نجلي ولا نجله ولا نجل نجله إلى آخر سلالة الأنجال النجباء، وإن أردتم تقاسمت السلطة معكم!!{تلك إذا قسمة ضيزي} النجم، ونشارك المغانم من قوت الشعب {ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تخذوا منهم أولياء النساء.

وإذ لم يقبل المكلومون إغراهه لهم، طالب بإعطائه فرصة أخيرة بالنزول إلى رأي الشارع عبر صناديق الاقتراع لتكون هي الحكم والفيصل {أفنجعل المسلمين كال مجرمين * مالكم كيف تحكمون} القلم.

فلما حصحص الحق وزهق الباطل قال: هاكم حزمة الإصلاحات {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} البقرة.

وأبدأها بالحوار الوطني الشامل لكل المقهورين والمظلومين والمعذبين والمهمشين و ... و ... و ... {سلهم أيهم بذلك زعيم القلم}.

ولكن هيئات هيئات فلم يعد يصدقه حتى الجمادات {إلئن وقد عصيت قبل و كنت من المفسدين} يونس.
فإن اليد التي حملت الفأس الغادر لا شرعية للسلام عليها ولا التصالح معها ولا الاطمئنان إليها ولا سبيل للإصلاح في ظلها.

ولا أدرى عندما يطلب هذا الزعيم أو ذاك طلبه المختنق بعبرته بعد فوات الأوان، أيظن أن الشعب سيصدقه ويبتلع الطعم ويقع في الفخ وكيف يعاودونه وهذه آثار فوؤسه؟ {أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها}، محمد.

على الشعوب المقهورة أن تحسن الخروج مما هي فيه من الذل والخنوع وسلط أئمة الجور وتكلب الأعداء عليها من كل حدب وصوب، كما أحسنت الدخول إلى هذه الثورات السلمية الحضارية المباركة، بكل سبب خفي وأسلوب لطيف.
ولأمر ما جدع قُصِيرَ أنفه!!! ولقي الظلمة من وقوف جيوشهم إلى جانب المقهورين في ثوراتهم عجبا، فهاهي الجيوش الجرارة، التي أنفق الظلمة قوت شعوبهم على تسليحها وتدريبها لا على دفع العدو الباغي وإنما على قتل أبناء جلدتهم وسحق أهليهم وحماية الظالم لا غير، تعود إلى قواعدها سالمه، ولا عجب فقد رأى فرعون في المنام أن هلاكه وزوال ملكه على يد طفل من بني إسرائيل فأمر بقتل أطفالهم وسي نسائهم، ولسان القدر يقول: لا نربيه إلا في حجرك ... وإذ ذاك سيتکفل الظلمة بالإطاحة بأنفسهم كما قالت الزباء ملكة تدمر: ببدي لا ببدي عمرو، ولسان الثورات يقول: (ليس كل جمعة؟!!!!!!
تسلم الجرة).

المصادر: